חקרי מזרח. לזכר דוד צבי בנעט, המכון ללימודי אסיה ואפריקה, הוצאת מאגנס, האוניברסיטה העברית, ירושלים, תשל"ט .

أبحاث الشرق . في ذكرى دافيد صفي بانيت ، معهد الدراسات الآسيوية والافريقية ، اورشليم ١٩٧٩ . الجزء العبري : ١٨١ ص + ٥ لوحات ، الجزء الأجنبي : ٤٠٧ ص + ٣ لوحات .

يعتبر دافيد صفي بانيت (١٨٩٣ ــ ١٩٧٣) من كبار البحاثين المتخصصين في الشرق الاسلامي في العصور الوسطى . وكانت أبحاثه في الأدب العربي ــ اليهودي ولغته ترتكز على معرفته العميقة في الأدب الفلسفي والديني ، وفي التراث القديم الذي استقت منه الحضارتان . ان اطلاعه الواسع وتدقيقه الكبير في فهم النصوص وتحقيقها جعلا منه مربيا كبيرا لتلامذته خلال عشرات السنين التي مارس فيها البحث والتعليم في الجامعة العبرية في اورشليم . وبعد موته ، اتفق اصدقاؤه وتلامذته على تخليد ذكراه ، وليس المجلد الضخم الذي نستعرضه الآ مجموعة أبحاث كرست لذكرى بانيت .

ويظهر جانب من شخصيته الفذة لمن لم يتعرف عليه من الكلمات التقريظية التي كتبها رئيس الدولة ، اذ كان السيد نافون تلميذا لبانيت . ويطلعنا البروفسور أولندورف الباحث الكبير في اللغات السامية على عبقرية بانيت اللغوية التي بدت منذ طفولته . أما صديقه البروفسور ش. د. غويتاين فقد كمل التفاصيل عن بانيت الانسان ، والصديق ، ورب العائلة . وفي المجلد قائمة ببيليوغرافية كاملة في ما نشره بانيت من أبحاث .

ان الدراسات التي يحتويها المجلد تعالج عددا كبيرا من المواضيع ، وغالبيتها في مجال حضارة الاسلام واللغة العربية ، والأخرى في مجال الحضارة

اليهودية في نطاق العالم الاسلامي في العصور الوسطى . ومن الناحية الفنية يتضمن المجلد جزئين عبرياً واجنبياً ، وفي الوسط قائمة بيبليوغرافية ولوحات مصورة . وبما ان مجلة الكرمل تعالج اللغة والأدب فسوف يتطرق استعراضنا الى الأبحاث في هذين المجالين ، اما الأبحاث التي تعالج مواضيع أخرى فسوف نكتفي بذكرها في نهاية هذا الاستعراض .

يعالج مقال ايلة الماغور الصعوبة الكامنة في استعمال مصطلح "مجاز" في كتاب ابي عبيدة مجاز القرآن . ويظهر أن مؤلف الكتاب قصد معنى "الجواز" (من جاز، يجوز) ، أي ما تجيزه اللغة، ولغة القرآن ضمن ذلك، من استعمال . هذا المفهوم القديم كان أساسا لتطور المصطلح في البلاغة . وبعد ذلك فهم "المجاز" بمعنى "التجاوز" (تجاوز الحقيقة) حتى صارت الكلمة مضادة بمعناها لكلمة "الحقيقة" .

ويرى ميخائيل وينتر في مقاله أن مرثيات المتنبي وسيلة نتمكن بها أن نتغلغل الى العالم الداخلي للشاعر الكبير . ويميز وينتر بين المراثي الرسمية التي قيلت في أقرباء ولي نعمة الشاعر ومقربيه، وبين المراثي الشخصية، أي التي قيلت في موت جدته وموت فاتك الذي مكث في معيته أثناء زيارته البائسة لمصر . وهذه الأخيرة تعبر عن أحاسيس الشاعر وعن تشاؤمه الشديد وشعوره بالغربة، بينما ترسم الأولى خطوطا لفلسفة عامة في الحياة والموت من وجهة نظر غير شخصية .

ان شخصية المعري الفذة قد خلدت بشكل رائع في مجموعة أشعاره اللزوميات . في مقال مستمد عن أطروحة ماجستير أعدت باشراف المرحوم بانيت، يقدم لنا يوحنان فريدمان خلاصة هذه المجموعة ويبين خصائصها . فالتوطئة التي كتبها المعري لهذه المجموعة هي بمثابة تجديد، اذ يصرح بأن هدفه استغلال الشعر لنشر آراء صادقة . ويسهب فريدمان في وصف القيود الشكلية التي تقيد بها الشاعر من ناحية القافية ومبنى القصائد، ويرى في ذلك تعبيرا عن طموحه الى الكمال . ويشير الى معان ومواضيع في شعر المعري تكشف عن شخصية مناضل أصيل وجريء ضد المعتقدات المسلم بها، وضد الأعمال التي تنطوي على الظلم . ويستقي شعره المتقن من مصادر معرفة في نطاق واسع بعلوم الاسلام . ويتبسط فريدمان في عرض ومضاته الذهنية وفي شرح مغلقاتها .

ينوه يهودا رصابي بتعمق يهود بلاد العرب في العصور الوسطى في فهم الأدب العربي وثروته اللغوية، ويمثل على ذلك بمدى شيوع استعمال الأمثال العربية في الشعر العبري في العصور الوسطى . ومن النماذج التي يوردها نتعرف

ليس فقط على هذا الشيوع وانما نفهم أيضا كيف صارت هذه الأمثال مصدر الهام في خلق ثروة لغوية عبرية جديدة .

وتحاول دراسة شموئيل موريه عن نشأة الرواية العربية في القرن التاسع عشر أن تدحض الادعاء القائل بأن هذا النوع الأدبي قد غرس في الأدب العربي كانتاج أوروبي قح . ويبين موريه مدى تأثير النثر العربي القديم والحكاية الشعبية كعاملين اشتركا في تصميم الرواية الى جانب التراجم عن اللغات الأجنبية . ويصف فئات المثقفين وتيارات ذوق الجماهير التي أثرت على تحديد نوعية الروايات الأولى . ومما يميز تطور الرواية العربية، هو الانتقال، الذي يجيد موريه وصفه، من أساليب التأليف الفنية لأدب البطولة الشعبي الى بناء حبكة قصصية وخلق شخصيات على نمط الأدب الغربي، من التسلسل العفوي في الحبكة التي أساسها مغامرات مثيرة ودرامية، الى وصف واقعي وتركيز على رسم ملامح الشخصيات وتحليل عالمها الداخلي .

ويستقصي ألبرت أرازي في مقال شامل يعتمد على عدد كبير من المصادر كل ما يمكن استقصاؤه عن النشاط الثقافي في منطقة خراسان . والجدير بالذكر أن الباحثين رصدوا النهضة الثقافية باللغة الفارسية في هذه المنطقة، متجاهلين وجود الوسط الثقافي باللغة العربية . ويضع أرازي خطوطا لبداية نمو هذا الوسط في عهد الحكام الطاهريين عندما استقدمت رجالات اللغة والشعر من مراكز الثقافة العربية، ويطلعنا على نشأة أجيال حذت حذوهم . ويقدم الأمثلة على ماهية النشاط الأدبي من خلال التطرق لسيرة الشاعر أبي جعفر البحاثي، وهو شاعر مرموق كان جل انتاجه في مجالي الهجاء والغزل .

وهكذا انتهينا من عرض البحوث الأدبية في هذا المجلد، لنصل الى عرض البحوث اللغوية .

في مجال الحديث عن اشتقاق الألفاظ، يستعمل اللغويون العرب تعابير تدل على معنى "متقدم" و "متأخر"، مثل : أسبق، أول، أخذ من، وغيرها . وكان فلايش قد بين أن طريقتهم تخلو من الوجهة التاريخية . ويتفحص حاييم بلانك في مقاله هذه التعابير، مؤكدا أن بعضا منها، كما استعملها سيبويه، لا ـ تاريخي (كقوله انّ المبتدأ هو الأول في حالات الاسم) . ولكن ثمة تعابير ذات معنيين وألفاظ أخرى تدل بدون شك على ادراك تاريخي، وهي في مجال الاشتقاق (مثل : هلّل، وأصله التاريخي من القول "لا اله الا الله") . ومما ينم عن ادراك تاريخي

موقف سيبويه ازاء قدم اللهجة الحجازية بالنسبة للهجات الأخرى . وربما كان الغموض في تعابيره سببا لعدم تفهّم الأجيال اللاحقة لمواقفه، وللنقد الذي وجه اليه خطأ . ويورد بلانك كذلك أقوال ابن جني والزجاج اللذين أوضحا خلال القرن العاشر وجود طريقتين، تاريخية ولا ـ تاريخية في تحليل ترتيب الوحدات في نظام اللغة . ومن خلال البحث يضع بلانك خطوطا مميزة للأنموذج النظري لدى اللغويين العرب . وفي نهاية مقاله ينوه بقيمة ادراكهم الفكري، وذلك ازاء تجدد التيار الغيبي في علم اللغة العصري .

مقال آخر عن الجانب النظري في علم اللغة لدى اللغويين العرب يدور حول المصطلح الذي يشير الى تعدي الفعل . ويوضح فيه اريه لفين أن في الكتاب ـ وهو أقدم كتب النحو التي وصلتنا ـ لا نجد الاصطلاحين "فعل متعد" و "فعل لازم" . ان عبارة "الفعل المتعدي الى المفعول"، وخصوصا "تعدى" أو "يتعدى" الفعل، تظهر فيه بكثرة، ويتفحص لفين معناها . وهنالك امكانيتان في فهم هذه الصيغة لدى سيبويه : "فعل" بمعنى عمل، وعندها تدل "تعدى" على أثر العمل على مفعوله، و "فعل" بمعنى كيان صرفي محض، وعندها تشير "تعدى" الى التأثير النحوي . ويورد لفين أدلة كبيرة الأهمية لدعم الامكانية الثانية، فيشير مثلا الى أنّ "تعدى" لدى سيبويه تدل أيضا على التأثير النحوي للعدد "عشرون" على الاسم "درهما" في العبارة"عشرون درهما" . ويبين وجود تفهّم مختلف آخر في كتب اللاحقين يطابق الامكانية الأولى التي عرضناها .

ان ما يسميه الباحثون في اللغات السامية "الأفعال المؤخرة الضمائر" (بمعنى الأفعال الماضية حسب تسمية النحاة العرب)، مثل فعل، فعلت الخ، والتي لها معنى الزمن الحاضر في العربية، كثيرا ما اعتبرها اللغويون وكأنها "رزولتتيف"، أي تؤكد نتيجة الفعل زيادة على دلالة الفعل نفسه (شبيها بما يسمى بالانجليزية present perfect) فقولنا "علم الله" مطابق لمعنى "الله عالم" والمعنى الخاص للفعل في اشارته الى الزمن الحاضر يفسّر وكأن المتكلم لا تهمه دلالة الفعل نفسه، وانما تهمه نتيجته في الزمن الحاضر . وفي مقال تدعمه البراهين يوضح بهوشع بلاو أن الألفاظ التي لها صيغة الفعل على وزني فَعُل وفَعِل، الا أنها لا تدل على فعل وانما تشير الى استقرار ذات الفاعل (وتسمّى "ستتيف")، تشكل مجموعة دلالة خاصة، اذ تكون صفة متصرفة . ويشير الى أن أفعال هذه المجموعة موجودة في اللغة العربية بشتى طبقاتها التاريخية، بما فيها اللهجات الحديثة . وهكذا تصحّح

فرضية بلاو ما ذهب اليه الباحثون الذين ظنوا بأن هذه الظاهرة تنحصر فقط في عصر ما قبل الكلاسيكية في اللغة . وفي اللغات السامية الغربية التي تشيع في أفعالها الدلالة على الأزمنة، يجب اعتبار الأفعال المؤخرة الضمائر من بقايا ظاهرة "الستتيف" السامي القديم ، كما نجد في عبارات مثل "الله عز وجل" .

منذ سنوات يجري أريئيل بلوخ بحثا متشعبا في النحو العربي، وأخيرا حظينا بباكورة ما نشره في هذا المجال . ويعالج مقاله ظاهرة مضاعفة الضمير المتصل بضمير منفصل، بعطف أو بدونه، كما في "بعثني أنا والزبير" و "بعثني أنا" ، وذلك بهدف التوكيد . ويوضح بلوخ أن في الحالة الأولى يهدف ذلك الى مساواة مستوى الكيان المعنوي بين العطف والمعطوف ، أي أن الاسم المعطوف ذو كيان مستقل ، كما يأخذ الضمير كيانا مماثلا اذ يعرض ضميرا منفصلا الى جانب الضمير المقيد . ويسمي بلوخ هذا المبدأ باسم "مبدأ الموازنة" . ويقترن وصفه العلمي الدقيق بذكر مصادر عديدة، ويعتمد على تفحص مفاهيم نحاة قدامى ومخبرين عرب ، وعلى الاستشهاد بجمل ذات مبنى مشابه، وعلى ايراد أمثلة من لغات أخرى .

ويعرض موشي بيامنتا نتائج دراسة عملية قام بها بين مخبرين من عدد من قبائل البدو في النقب . وقد كوّن أنموذجا طلائعيا يصف مجموعة المجاملات الشائعة في الفئة اللغوية التي ينتمون اليها . ويحاول هذا الأنموذج الاحاطة بجميع التفاصيل المتعلقة بالموضوع، ويليه جزء يحلل لغويا جميع الشواهد التي يوردها المؤلف ، وتساعد النتائج في التغلغل الى جوانب داخلية شيقة من حضارة القبائل البدوية في منطقة النقب . ولكن بيامنتا يشير بحق الى وجوب التحفظ في مدى شيوع المجموعة، لأن ظروف البحث لم تمكنه من أن يتأكد فيما اذا كانت لغة المجاملات التي يعرضها رائجة في حياة البدو اليومية ، أم انها مجموعة مثالية .

ان مشكلة استعمال علامات الاعراب في العربية الفصحى أشغلت علماء اللغة من زوايا نظر مختلفة، وتقدم أولغا كابيليوك وجهة نظر جديدة في الموضوع، وذلك من خلال فحص دقيق لعلامات الاعراب في اللغات الاثيوبية السامية . وتلاحظ أن في هذه اللغات تظهر علامة النصب فقط . وتقدم كابليوك أمثلة وتصف وظائف علامة الاعراب فيها، مستخدمة مصطلحات اللغويين العرب ، والنتائج التي توصلت اليها من شأنها أن تلقي الضوء على علاقة اللغات السامية الحديثة باللغات القديمة التي تعتبر أمهات لها ، مثل علاقة اللهجات الحديثة باللغة العربية الفصحى .

وفيما يلي عرض موجز للبحوث في مجال الحضارة الاسلامية :

أ ـ مقال مئير قسطر حول الأصل التاريخي لطقوس شهر شعبان

ب ـ مقال ايتان كولبرج حول المصطلح "محدّث" ومكانته لدى الاثني عشرية

جـ ـ مقال ح. لاتسروس ـ يافه عن الأعياد في حضارة الاسلام وخصائصها

د ـ مقال أشير غورن عن معتقدات الخوارج

هـ ـ مقال شلومو بينس وميخائيل شفارص وفيه نص رسالة يحيى بن عدي عن مفهوم "الكسب"، ومعه دراسة وترجمة انجليزية للنص.

و ـ مقال ايلاي ألون حول المصطلحين "حكمة" و "حق" في المصادر العربية.

ز ـ مقال يوئيل كريمر حول تأثير أفكار الفارابي على موسى بن ميمون في كتاب دلالة الحائرين.

حـ ـ مقال يوسف سدان عن النوع الأدبي الذي يبحث في سيرة الملوك والخلفاء.

ط ـ شاؤول شكيد ينشر رسالة تاجر فارسي باللغة الفارسية الحديثة العادية مبينا مميزاتها وشارحا الخلفية التاريخية للأحداث المذكورة فيها.

ي ـ مقال موشي شارون عن الكتابات المنقوشة في قبة الصخرة

ي أ ـ مقال أمنون شيلواح يعرض ويحلل روايات اسلامية حول أصل الموسيقى واختراع العود.

وبعد، ففي وسع القارئ للعرض الذي تقدم أن يتعرف على أهمية هذا المجلد الضخم كمرجع في دراسة جوانب متنوعة لحضارة الشرق الاسلامي والأدب العربي. ولا يخفى على أحد المجهود الكبير الذي بذله أولئك الذين أخرجوا لجمهور الخبراء والطلاب مثل هذا الكتاب الثمين.

رافي طلمون